يبقى مع ذلك موضوع الواقعية الاشتراكية شائكا ، بسبب الادوار المختلفة التي مرت بها ٠

لقد ترك الفن المرتبط بالطبقة العاملة ـ او ما يحصر في اطار الواقعية الاشتراكية ـ ظلاله على كل القرن العشرين ، بل كان في اكثر من مجال طليعة وابداعا حقيقيا ٠ قد يكون من السهل ادانة الواقعية بشكلها الجدانوفي ، لكن ذلك لا يمحو ولا يستطيع ان يمحو ما قدمه : مایاكوفسكي وايزانشتاين وفيرتوف ، آرغون ، ايلوار ، بيكاسو ، فرديناند ليجيه ، رافائيل البرتي ، اتيلا جوزيف ، سكيروس ، ريفييرا ، ناظم حكمت ٠٠٠

ان هذا يعني ان تاريخ الواقعية الاشتراكية اكثر تعقيدا مما يظن وليس بالبساطة والابتذال التي يصورها بعض النقاد البرجوازيين والمتمركسين ايضا٠

اذا كان تاريخ الواقعية الاشتراكية كممارسة فنية هو تاريخ الواقعيات الاشتراكية فان تاريخ النظرية « الاشتراكية » في الفن هو تاريخ النظريات الاشتراكية في الفن ، فكل من هذه النظريات كانت تعكس خصائص الصراع الطبقي في زمانها وصراع المادية والمثالية داخل الفلسفة المادية نفسها ، لذلك نعثر على جملة من النظريات ليست متطابقة ، متقاربة احيانا ، ومتناقضة احيانا اخرى على الرغم من اعتمادها جميعا على المادة التاريخية والديالكتيكية، فهناك « نظريات » بليخانوف ، ومهرنغ ، لافارغ ، لوكاش ، غرامشي ، كالدويل ، فوكس ، كاجان ، بافلوف ، مورافسكي ، ديلافولبي ٠٠٠ بعضها يغرق في الميكانيكية ، ينسى او يقلل من شأن الذات ، وبعضها الاخر يغرق في النزعة الانسانية ، يبالغ في دور الذات ٠٠٠ ان صراع المادية والمثالية في المادية انما يعكس ديالكتيك تطور المعرفة ٠

عن تاريخ الواقعية والواقعية الاشتراكية :

ليست مسألة الواقعية جديدة في الفن وخاصة في الغرب ، فهي قديمة على الرغم من الاشكال التي مرت بها ٠ برزت في اواخر القرن السابع عشر كشكل ادبي مترابط مع ظهور علاقات انتاج جديدة : نمط الانتاج الرأسمالي ٠ رفعت منذ البدء راية البرجوازية ودافعت عن قيمها منتجة صورة قريبة من الواقع المعاش ، صورة متقدمة تاريخيا رافضة للايديولوجيا الاقطاعية والكنسية ٠ عالجت المكان والزمان في ماديتهما المباشرة ، اي رفضت المطلق بمعناه الميتافيزيقي ، وانفتحت بمفهوم جديد على عالم جديد بطله الذات الانسانية ، الفرد الحر بمعناه البرجوازي ٠ لكن تلك الواقعية ذات النزعة الانسانية ما لبثت ان غيرت شكلها موازية في ذلك مسار الرأسمالية نفسها ٠ تراجعت وسلكت مسالك مختلفة بعد بروز احصاء الرأسمالية البارد الذي لا يرى في